سورة النازعات

مكية، وهي خمس أو ست وأربعون آية
[نزلت بعد النبأ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾

أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها. من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في مضيها، أي: تسرع/ ٢/ ٢٥٢أ فتسبق إلى ما أمروا به، فتدبر أمرًا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم ﴿غَرْقًا﴾ إغراقًا في النزع، أي: تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعًا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها؛ لأنها عراب. والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك: «ثور ناشط» إذا خرج من بلد إلى بلد، والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر، وإسناد التدبير إليها، لأنها من أسبابه. أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب. وإغراقها في النزع: أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب، والتي تخرج من برج إلى برج، والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرًا من علم الحساب. وقيل النازعات أيدي الغزاة، أو أنفسهم تنزع القسيّ بإغراق السهام، والتي تنشط الأوهاق[1] والمقسم عليه محذوف، وهو «لتبعثن» لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بهذا المضمر. و﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى: وصفت بما يحدث بحدوثها ﴿تَتْبَعُهَا

---

(١) قوله: «تنشط الأوهاق» هي حبال المواشي. أفاده الصحاح. (ع)

﴿ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ أي الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية. ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ۝٧٢﴾ [النمل: ٧٢]، أي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادًا لها، وهي رادفة لهم لاقترابها. وقيل ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ الأرض والجبال، من قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] والرادفة: السماء والكواكب؛ لأنها تنشق وتنتثر كواكبها على أثر ذلك. فإن قلت: ما محل تتبعها؟ قلت: الحال، أي: ترجف تابعتها الرادفة. فإن قلت: كيف جعلت ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ظرفًا للمضمر الذي هو لتبعثن، ولا يبعثون عند النفخة الأولى؟ قلت: المعنى لتبعثنّ في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان، وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع، وهو وقت النفخة الأخرى. ودلّ على ذلك أنّ قوله: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ جعل حالاً عن الراجفة. ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ بما دلّ عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ أي يوم ترجف وجفت القلوب ﴿وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب، والوجيب والوجيف: أخوان ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة. فإن قلت: كيف جاز الابتداء بالنكرة؟ قلت: ﴿قُلُوبٌ﴾ مرفوعة بالابتداء و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفتها، و﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾ خبرها فهو كقوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فإن قلت: كيف صح إضافة الأبصار إلى القلوب؟ قلت: معناه أبصار أصحابها بدليل قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ ﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى، يعنون: الحياة بعد الموت. فإن قلت: ما حقيقة هذه الكلمة؟ قلت: يقال: رجع فلان في حافرته، أي: في طريقه التي جاء فيها فحفرها، أي: أثر فيها بمشيه فيها: جعل أثر قدميه حفرًا، كما قيل: حفرت أسنانه حفرًا: إذا أثر الآكال في أسناخها[1]. والخط المحفور في الصخر. وقيل: حافرة، كما قيل: عيشة راضية، أي: منسوبة إلى الحفر والرضا، أو كقولهم: نهارك صائم، ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته، أي إلى طريقته وحالته الأولى. قال [من الوافر]:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ؟! مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ[2]

يريد: أرجوعًا إلى حافرة؟ وقيل: النقد عند الحافرة، يريدون عند الحالة الأولى: وهي الصفقة وقرأ أبو حيوة «في الحفرة» والحفرة بمعنى: المحفورة. يقال: حفرت أسنانه

---

(١) قوله: «أثر الآكال في أسناخها» في الصحاح «أسناخ الأسنان»: أصولها. (ع)

(٢) أنشده ابن الأعرابي. والهمزة للإنكار. والحافرة في الأصل: الطريق المحفور بالسير، فتسميته حافرة مجاز عقلي. أو على معنى النسب، أي: ذات حفر، ثم استعملت في كل حال كنت فيه، ثم رجعت إليه. وهي نصب بمحذوف، أي: أترجع حافرة، أي في طريقتي الأولى من الشباب والصبا. أو على نزع الخافض، أي: أترجع إليها. والصلع: انحسار شعر الجبهة، ويغلب في الهرم. ومعاذ: مصدر نصب بمحذوف. والسفه: الجهل والطيش.
ينظر: لسان العرب (حفر)، وتهذيب اللغة ١٨/٥، والمخصص ٣٠٦/١٢، وتاج العروس (حفر).

فحفرت حفرًا، وهي حفرة، وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة. يقال: «نخر» العظم فهو نخر وناخر، كقولك طمع فهو طمع وطامع؛ وفعل أبلغ من فاعل؛ وقد قرئ بهما: وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير. و﴿إِذًا﴾ منصوب بمحذوف، تقديره: أئذاكنا عظامًا نرد ونبعث ﴿كَرَّةً خَاسِرَةٌ﴾ منسوبة إلى الخسران، أو خاسر أصحابها. والمعنى: أنها إن صحت فنحن إذًا خاسرون لتكذيبنا بها، وهذا استهزاء منهم فإن قلت: بم تعلق قوله ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾؟ قلت: بمحذوف، معناه: لا تستصعبوها، فإنما هي زجرة واحدة؛ يعني: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل، فإنها سهلة هينة في قدرته، ما هي إلا صيحة واحدة[1]، يريد النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُم﴾ أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتًا في جوفها، من قولهم: زجر البعير، إذا صاح عليه. والساهرة: الأرض البيضاء المستوية، سميت بذلك لأنّ السراب/ ٢/ ٢٥٢ب يجري فيها، من قولهم: عين ساهرة جارية الماء، وفي ضدها: نائمة. قال الأشعث بن قيس [من الطويل]:

وَسَاهِرَةٍ يُضْحِي السَّرابُ مُجَلِّلاً ... لِأَقْطَارِهَا قَدْ جُبْتُهَا مُتَلَثِّمَا[2]

أو لأنّ سالكها لا ينام خوف الهلكة. وعن قتادة: فإذا هم في جهنم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

﴿اذْهَبْ﴾ على إرادة القول. وفي قراءة عبد الله: أن اذهب، لأنّ في النداء معنى

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف اتصل بما قبله؟ وأجاب أنهم أنكروا الإعادة... إلخ» قال أحمد: وما أحسن تسهيل أمر الإعادة بقوله: (زجرة) عوضًا من صيحة، لأن الزجرة أخف من الصيحة؛ وبقوله: (واحدة) أي غير محتاجة إلى مثنوية، وهو يحقق لك ما أجبت به من السؤال الوارد عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ حيث قيل: كيف وحدها وهما نفختان، فجدد به عهدًا.

(٢) للأشعث بن قيس؛ والساهرة: الأرض البيضاء؛ لأن السراب يجري فيها فتشبه العين الساهرة؛ لظهور بياضها وجريان مائها، بخلاف الناعسة. أو وصفت بالسهر، لأن السائر فيها ساهر لا ينام خوف الهلكة، فهو مجاز عقلي. مجللاً: خبر «يضحي» أي: ساترًا لأقطارها وجوانبها. يقول: رب مفازة يسترها النهار بسراب يشبه جل الفرس؛ ويطلق النهار على السراب، وعلى فرخ الحبارى، وتصح إرادة كل منهما. قد أتيتها لابسًا اللثام خوف الحر والريح.
ينظر: الدر المصون: ٦/ ٦٩٥.

القول. هل لك في كذا، وهل لك إلى كذا؛ كما تقول: هل ترغب فيه، وهل ترغب إليه ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى أن تتطهر من الشرك، وقرأ أهل المدينة: تزكى، بالإدغام ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشدك إلى معرفة الله أنبهك عليه فتعرفه ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي العلماء به؛ وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر، من خشي الله: أتى منه كل خير. ومن أمن: اجترأ على كل شرّ. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل» (١٧٠٥) بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول، ويستنزله بالمداراة من عتوه، كما أمر بذلك في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، ﴿ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل، والأخرى كالتبع لها؛ لأنه كان يتقيها بيده، فقيل له: أدخل يدك في جيبك، أو أرادهما جميعًا، إلا أنه جعلهما واحدة؛ لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها ﴿فَكَذَّبَ﴾ بموسى والآية الكبرى، وسماهما ساحرًا وسحرًا ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر، وأنّ الطاعة قد وجبت عليه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ أي لما رأى الثعبان أدبر مرعوبًا[1]، يسعى: يسرع في مشيته. قال الحسن كان رجلًا طياشًا

١٧٠٥ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٣) كتاب صفة القيامة: باب (١٨) حديث (٢٤٥٠) والحاكم (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) والعقيلي (٤/ ٣٨٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٠٦) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ٤٢٥) رقم (١٤٦٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨١) كلهم من طريق يزيد بن سنان التميمي سمعت بكير بن فيروز يقول: سمعت أبا هريرة يقول فذكره مرفوعًا.

وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ووهما في ذلك لضعف يزيد بن سنان وقد أعله العقيلي به.

وفي «تخريج الكشاف» (٤/ ١٤٩): قال ابن طاهر يزيد بن سنان متروك ولا يصح مسندًا ويروى من كلام أبي ذر اهـ.

وللحديث شاهد من حديث أبي بن كعب أخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٧) والبيهقي في «الشعب (١٠٥٧٧) من حديث أبي بن كعب.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية من رواية الثوري عن أبي عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه بهذا. قال أبو نعيم تفرد به وكيع. قاله في ترجمته وهو ضعيف برواية الحاكم من طريق عبد الله بن الوليد الثوري ورواه الترمذي والحاكم والعقيل عن رواية يزيد بن سنان سمعت بكر بن فيروز. سمعت أبا هريرة ـ فذكره. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي لما رأى الثعبان ولى هاربًا مذعورًا... إلخ» قال أحمد: وهذا الوجه الأخير حسن لطيف جدًا، وهو على هذا من أفعال المقاربة.

خفيفًا. أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته، وأريد: ثم أقبل يسعى، كما تقول: أقبل فلان يفعل كذا، بمعنى: أنشأ يفعل، فوضع ﴿أَدْبَرَ﴾ موضع: أقبل؛ لئلا يوصف بالإقبال ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة، كقوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الشعراء: ٥٣]. ﴿فَنَادَىٰ﴾ في المقام الذي اجتمعوا فيه معه. أو أمر مناديًا فنادىٰ في الناس بذلك. وقيل قام فيهم خطيبًا فقال تلك العظيمة. وعن ابن عباس: كلمته الأولى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] والآخرة: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٣٤]. ﴿نَكَالَ﴾ هو مصدر مؤكد، كوعد الله، وصبغة الله؛ كأنه قيل: نكل الله به نكال الآخرة والأولى والنكال بمعنى التنكيل، كالسلام بمعنى التسليم. يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة. وعن ابن عباس: نكال كلمتيه الآخرة[1]، وهي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ والأولى وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٢٨]، وقيل: كان بين الكلمتين أربعون سنة. وقيل عشرون.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

الخطاب لمنكري البعث، يعني ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أصعب ﴿خَلْقًا﴾ وإنشاء ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ ثم بين كيف خلقها فقال ﴿بَنَاهَا﴾ ثم بين البناء فقال ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدًا رفيعًا مسيرة خمسمائة عام ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فعدلها مستوية ملساء، ليس فيها تفاوت ولا فطور. أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها، من قولك: سوى فلان أمر فلان. غطش الليل وأغطشه الله، كقولك: ظلم وأظلمه. ويقال أيضًا: أغطش الليل، كما يقال أظلم ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ وأبرز ضوء شمسها، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ [الشمس: ١]، يريد وضوئها. وقولهم: وقت الضحى، للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها؛ وأضيف الليل والشمس إلى السماء، لأن الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها[2] ﴿مَاءَهَا﴾ عيونها المتفجرة بالماء ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ورعيها، وهو في الأصل موضع الرعي. ونصب الأرض والجبال بإضمار «دحا» و«أرسى» وهو الإضمار على شريطة

---

(١) قال محمود: «وقوله: (نكال الآخرة والأولى) يعني الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة... إلخ» قال أحمد: فعلى الأول يكون قريبًا من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ لأن الآخرة والأولى صفتان للكلمتين؛ وعلى الثاني لا يكون كذلك.

(٢) قوله: «هي السراج المثقب في جوها» في الصحاح «ثقبت النار»: إذا اتقدت. وأثقبتها أنا. (ع)

التفسير. وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء. فإن قلت: هلا أدخل حرف العطف على أخرج[1]؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون معنى ﴿دَحَىٰهَآ﴾ بسطها ومهدها للسكنى، ثم فسر التمهيد بما لا بدّ منه في تأتي سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب؛ وإمكان القرار عليها، والسكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها. والثاني: أن يكون ﴿وَأَخۡرَجَ﴾ حالاً بإضمار «قد» كقوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النساء: ٩٠] وأراد بمرعاها: ما يأكل الناس والأنعام. واستعير الرعي للإنسان كما استعير/ ٢/ ٢٥٣أ الرتع في قوله: ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ [يوسف: ١٢] وقرئ: نرتع، من الرعي؛ ولهذا قيل: دلّ الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح، لأنه من الماء ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ﴾ فعل ذلك تمتيعًا لكم ﴿وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ لأن منفعة ذلك التمهيد واصلة إليهم وإلى أنعامهم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ الداهية التي تطم على الدواهي، أي: تعلو وتغلب. وفي أمثالهم: جرى الوادي فطمّ على القرى، وهي القيامة لطمومها على كل هائلة. وقيل: هي النفخة الثانية. وقيل: الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل من إذا جاءت، يعني: إذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها، كقوله: ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة: ٦]، و﴿مَا﴾ في ﴿مَا سَعَىٰ﴾ موصولة، أو مصدرية ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أظهرت وقرأ أبو نهيك: وبرزت ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ للرائين جميعًا، أي: لكل أحد، يعني: أنها تظهر إظهارًا بينا مكشوفًا[2]، يراها أهل الساهرة كلهم، كقوله: قد بين الصبح لذي عينين، يريد: لكل من له بصر؛ وهو مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود «لمن رأى» وقرأ عكرمة «لمن ترى» والضمير للجحيم، كقوله: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [الفرقان: ١٢] وقيل: لمن ترى يا محمد.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) قال محمود: «فإن قلت هلا أدخل العاطف على أخرج... إلخ» قال أحمد: والأول أحسن، وهو مناسب لقوله: (السماء بناها)، لأنه لما قال: (أأنتم أشد خلقًا أم السماء) تم الكلام، لكن مجملاً؛ ثم بين التفاوت ففسر كيف خلقها فقال: (بناها)، بغير عاطف: ثم فسر البناء فقال: (رفع سمكها)، بغير عاطف أيضًا.

(٢) قال محمود: «يعني أظهرت إظهارًا بينًا مكشوفًا... إلخ» قال أحمد: وفائدة هذا النظم الإشعار بأنه أمر ظاهر لا يتوقف إدراكه إلا على البصر خاصة، أي: لا شيء يحجبه ولا بعد يمنع رؤيته، ولا قرب مفرط، إلى غير ذلك من موانع الرؤية.

﴿فَأَمَّا﴾ جواب ﴿فإذا﴾ أي: فإذا جاءت الطامّة فإنّ الأمر كذلك والمعنى: فإنّ الجحيم مأواه، كما تقول للرجل: غض الطرف، تريد: طرفك، وليس الألف واللام بدلاً من الإضافة، ولكن لما علم أنّ الطاغى هو صاحب المأوى، وأنه لا يغض الرجل طرف غيره: تركت الإضافة؛ ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف، لأنهما معروفان، و﴿هِيَ﴾ فصل أو مبتدأ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمارة بالسوء ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المردي وهو اتباع الشهرات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير. وقيل: الآيتان نزلتا في أبي عزير بن عمير ومصعب بن عمير، وقد قتل مصعب أخاه أبا عزير يوم أحد، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه حتى نفذت المشاقص[1] في جوفه (١٧٠٦).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرساؤها، أي إقامتها، أرادوا: متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها؟ وقيل أيان منتهاها ومستقرّها[2]، كما أنّ مرسى السفينة مستقرّها، حيث تنتهي إليه ﴿فِيمَ أَنتَ﴾ في أي شيء أنت[3] من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به، يعني: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء. وعن عائشة رضي الله عنها: لم يزل رسول الله ﷺ يذكر الساعة ويسأل

١٧٠٦ ـ بيض له الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٥٠) وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده انتهى.

---

(١) قوله: «حتى نفذت المشاقص» جمع مشقص: وهو السهم الطويل العريض. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «مرساها أي مستقرها... إلخ» قال أحمد: وفيه إشعار بثقل اليوم، كقوله: (ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا) ألا تراهم لا يستعملون الإرساء إلا فيما ثقل كمرسى السفينة وإرساء الجبال.

(٣) قال محمود: ««ومعنى (فيم أنت) أي: في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه نظر؛ فإن الآية الأخرى ترده، وهي قوله: (يسئلونك كأنك حفي عنها) أي: أنك لا تحتفي بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك، وهم يسألونك كما يسأل الحفي عن الشيء، أي: الكثير السؤال عنه، فالوجه الأول أصوب.
أخرجه إسحق في مسنده وابن مردويه من طريقه أخبرنا ابن عتبة عن الزهري عن عروة عنها بهذا. ورواه الطبري عن يعقوب عن إبراهيم عن ابن عتبة مثله. قال الحاكم بعد أن أخرجه من طريق ابن عتبة: لم يخرجاه لأن ابن عتبة كان يرسله. وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة: الصحيح مرسل. وأخرجه عبد الرزاق عن ابن عتبة مرسلًا وقال الدارقطني أسنده ابن عتبة مرة وأرسله أخرى.

عنها حتى نزلت (١٧٠٧)، فهو على هذا تعجب[١] من كثرة ذكره لها، كأنه قيل: في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها. والمعنى: أنهم يسألونك عنها، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها، ثم قال ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ أي منتهى علمها لم يؤت علمها أحدًا من خلقه. وقيل: ﴿فِيمَ﴾ إنكار لسؤالهم[٢]، أي فيم هذا السؤال، ثم قيل: أنت من ذكراها، أي: إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة[٣] ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها، فكفاهم بذلك دليلا على دنوّها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها، ولا معنى لسؤالهم عنها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ أي: لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه، وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون من إنذارك لطفًا له في الخشية منها. وقرئ: منذر، بالتنوين، وهو الأصل؛ والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال؛ فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة؛ كقولك: هو منذر زيد أمس، أي: كأنهم لم يلبثوا في الدنيا، وقيل: في القبور

١٧٠٧ ـ أخرجه النسائي في «تفسيره» (٦٦٥) والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣١) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٨٧) رقم (٨٢١٠) من حديث طارق بن شهاب وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٦) وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٤): وهذا إسناد جيد قوي.
وللحديث شاهد من حديث عائشة.
أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٣) والطبري (٣٠/ ٣١) والبزار (٢٢٧٩ ـ كشف) من طريق ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة به.
وقال البزار: لا نعلم رواه هكذا إلا سفيان وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فإن ابن عيينة كان يرسله بآخره وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٣٦) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.
ورجح أبو زرعة المرسل كما في «العلل» (١٦٩٣).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق في مسنده وابن مردويه من طريقه أخبرنا ابن عتبة، عن الزهري، عن عروة عنها بهذا. رواه الطبري عن يعقوب، عن إبراهيم، عن ابن عتبة مثله. قال الحاكم بعد أن أخرجه من طريق ابن عتبة: لم يخرجاه لأن ابن عتبة كان يرسله. وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة: الصحيح مرسل. وأخرجه عبد الرازق عن ابن عتبة مرسلاً وقال الدارقطني أسنده ابن عتبة مرة وأرسله أخرى. انتهى.

---

(١) قوله: «فهو على هذا تعجب» لعلهُ: تعجيب. (ع)

(٢) قال محمود: «وقيل (فيم) إنكار لسؤالهم، أي: فيم هذا السؤال... إلخ» قال أحمد: فعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله (فيم) ليفصل بين الكلامين.

(٣) قوله: «في نسم الساعة» في الصحاح «نسم الريح»: أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد. ومن الحديث «بعثت في نسم الساعة» أي: حين ابتدأت وأقبلت أوائلها. (ع)

﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ فإن قلت: كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية؟ قلت: لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد. فإن قلت: فهلا قيل: إلا عشية أو ضحى وما فائدة الإضافة؟ قلت: الدلالة على أن مدّة لبثهم كأنها لم تبلغ يومًا كاملاً، ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه؛ فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته، فهو كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

عن رسول اللّه ﷺ: «من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة» (١٧٠٨).

١٧٠٨ ـ تقدم تخريجه برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

obeikandl.com